التحليل المورفولوجي لمختارات من رسوم الفنان حمدي عبد الله لإثراء الجوانب الابداعية في فن الرسم

إعداد

أ.د. سعد السيد سعد العبد
أستاذ الرسم والتصوير
كلية التربية الفنية
جامعة حلوان

د. هند عماد أحمد الصفتي
مدرس الرسم والتصوير
كلية التربية
جامعة قناة السويس

خلفية المشكلة:

امتزجت الشخصية الإبداعية للفنان حمدي عبد الله بطاقة سيريالية تنبض بحس تعبيري يدعو المشاهد إلى تأمل تلك الحالة من خلال ما أنتجه من رسوم تحمل ثقافات ومعارف الفنان خلال مسيرة حياته الإبداعية، وتمثل مشواره الفني، حيث مارس بفطرته نوعاً من الرقي التشكيلي السحري، حيث يخط ببراعة ذلك التصور الذي جعل من الفن تميمة سحرية قادرة علي تحقيق التوازن الانفعالي، والرضا الشعوري، والهيمنة العقلية للإنسان علي الطبيعة.

والبحث الحالي يتناول بالدراسة والتحليل المورفولوجي مختارات من رسوم الفنان حمدي عبد الله للوقوف على ما تتضمنه هذه الرسوم من قيم جمالية عبرت عن مكنون الشخصية الإبداعية وأفصحت عن:

- أثر البيئة في تكوين الشخصية الإبداعية للفنان.
- البعد الإنساني في رسوم حمدي عبد الله التعبيرية.
- القيم التعبيرية والرمزية التي تميز الشخصية الإبداعية للفنان.
- تعدد دلالات التأويل عند قراءة أعمال الفنان.
- التحليل المورفولوجي لمختارات من رسوم الفنان حمدي عبد الله.

مشكلة البحث: تتحدد مشكلة البحث في التساؤل الآتي:

هل من خلال الدراسة والتحليل المورفولوجي لمختارات من رسوم الفنان حمدي عبد الله يمكن إيجاد مداخل تشكيلية مبتكرة تثري فن الرسم؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

١- دراسة تحليلية للجوانب الإنسانية في رسوم حمدي عبد الله.

٢- الكشف عن أثر (البيئة، وفنون الحضارات) في تشكيل خصوصية الرمز عند الفنان حمدي عبد الله.

٣- الكشف عن الجوانب المفاهيمية وتعدد دلالات التأويل في رسوم حمدي عبد الله.
٤- التوصل إلى مداخل تشكيلية مستحدثة بالتحليل المورفولوجي لمختارات من رسوم الفنان حمدي عبد الله يمكن من خلالها إثراء فن الرسم.

حدود البحث: يقتصر البحث على تحليل مختارات من أعمال الفنان حمدي عبد الله تحليلاً مورفولوجياً لتبيان ما يلي:

١- القيم الإنسانية في رسوم الفنان حمدي عبد الله.
٢- تعدد دلالات التأويل عند قراءة أعمال الفنان حمدي عبد الله الأسطورية.
٣- أثر البيئة في تكوين الشخصية الإبداعية للفنان حمدي عبد الله.
٤- القيم التعبيرية والرمزية التي تميز الشخصية الإبداعية للفنان.

فروض البحث:

يفترض البحث إمكانية إيجاد مداخل تشكيلية مبتكرة تثري فن الرسم من خلال الدراسة والتحليل المورفولوجي لمختارات من رسوم الفنان حمدي عبد الله.

منهج البحث:

يتبع البحث المنهج الوصفي في إطاره النظري والتحليل المورفولوجي في إطاره العملي، وذلك كالآتي:

أولاً: الإطار النظري:-

- **أثر البيئة في تشكيل الخصوصية الإبداعية للفنان حمدي عبد الله:**

نشأ الفنان حمدي عبد الله في أحد الأحياء الشعبية بمنطقة بولاق أبو العلا تلك البيئة ذات الطابع الشعبي المفعم بالحيوية والقضايا والهموم الفكرية والحياتية والحافل بالمفردات الشعبية منها: الحمامات الشعبية؛ ومستوقدات الفول؛ وأضرحة أولياء الله الصالحين التي تمثل مزاراً هاماً لمريدها من شتى المناطق بمصر خاصة في الموالد والاحتفالات الشعبية التي يحكي فيها الرواة القصص والبطولات في قوالب درامية شديدة التشويق.

وكان الفنان واحد من ذلك الجمهور الذي تشتاق روحه لهذا الزخم الأسطوري الشعبي فتراكمت منذ طفولته طبقات أسطورية مكونة ثقافات إبداعية متتالية، نضجت ونمت معه مكونةً مخزوناً إبداعياً يستدعيه في كافة أوقاته، في مرسمه واجتماعه وجلساته مع الأصدقاء، فقد لازمته اسكتشاته وأقلامه التي يسجل من خلالها عالمه الخاص، الذي تغير بتغير الحياة إلا أن تلك الصور المنطبعة بمخيلته مازالت تتراقص أمامه فكان ذلك النتاج الإبداعي الذي يترجم إما واقعاً اجتماعياً ساخراً أو فكرياً أو ثقافياً أو سياسياً في هيئة أسطورية حكائية تجمع بين الراوي والرواية في شكل ومضمون متكاملين.

- **البعد الإنساني في إبداع حمدي عبد الله:**

المتأمل في أعمال الفنان حمدي عبد الله يدرك أنه عكف طيلة حياته على تأمل عالم أسطوري غامض برؤية تصوفية يحاوره ويداعبه خيال خصب مستشرفاً بنظرة استشراقية كائنات تمتاز بخصوصية إبداعية، ومحققاً لتلك الكائنات حالة من الطمأنينة التي تتبدى بهيآتها وكياناتها المتعددة حتى باتت تلك الكائنات تظهر على صفحاته وكأنها تطلب منه الكشف عنها بإزاحة السطح، كي تبدو أمام عين المتلقي بكياناتها الخاصة وشخصياتها المتميزة في حضور وتجلي إبداعي قلما نجده عند الكثير من المبدعين الذين تطرقوا لهذا المجال الخصب، "فتحت هذه الشفرة يومض هم صوفي، يريد أن يقبض على الحقيقة العليا للأشياء والعناصر، ليس في سدرتها المطلقة المحلقة فحسب وإنما في شأنها الواقعي اليومي المتناثر هنا وهناك، بهذا الومض الصوفي يختصر الفنان المسافة بين البصر والبصيرة، ويحيلها إلى انشودة من البساطة مغموسة بحبر الخرافة ومفارقات المشهد الإنساني في أشد تجلياته وجعاً والماً، مبتغياً حرية الواقع والفن معاً، وكأنهما خطان يتقاطعان ويتجاوران، ويتواجدان في خط واحد على مسطح العمل الفني"[١].

إنه يصور عالم تتماهى فيه الكائنات وتتنوع نتاجاتها بالتكاثر والانقسام، عالم حافل بإيحاءات الذكورة والأنوثة، حافل بالتنوع الثري والشخصيات التي تصور كينونة مصغرة للكون الأكبر مؤكدة مبدأ من المبادئ الكونية الكبرى ألا وهو مبدأ الملاء الشامل.. ذلك المبدأ المستنبط من قوله سبحانه وتعالى: **(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)**[٢] صدق الله العظيم.وقوله تعالى **(وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم)**[٣].

إنه ذلك الفنان المتأمل.. شديد الاختراق بشفافية الصوفي ليستشرف بروح صافية وبصيرة الزاهد ما يحقق مضمون الفكرة.. فكانت أعماله وكأنها تسرد قَصَصاً نابضاً بخضم هذا العالم بروح ووجدان ورقة الفنان.

إن أعماله تعد بمثابة حالة من الحكي الإنساني في صياغة من الاسترسال الإبداعي الذي تتناغم فيه تلك الكائنات وتبحر في نسيج من العلاقات التشكيلية التي صنعها الفنان.. هيئات وكيانات تصعب على الكلمات وصفها أوجزها الفنان في مجموعة من الايقاعات الخطية النابضة بالحياة.. فأصبح كل عمل له بمثابة مؤلف بصري تشكيلي يحكي بالصورة حياة كاملة بأبطالها وما يدور في أنفسها من حوار.. كل ذلك وأكثر صوره الفنان بنشوة العاشق والمحب لهذا العالم.. لذلك يعد إبداعه حالة من التجلي.. تلك الحالات التي يصل إليها الصوفي حينما يتخلى عن كل عوامل التشتت ليتوحد مع الآخر.. مع المطلق.. حياة إنسانية كاملة سجلها الفنان من خلال هذا العالم.. مشاعر متأججة.. ووجدان مفعم بالتعبير.. وقلب نابض بالحب وتارة أخرى نابض بحالة من النشوة.. أعمال تتطلب متلقٍ على مستوى معرفي وثقافي عالٍ كي يتعمق في قراءة المشهد الإبداعي ليصل إلى حالة الاكتشاف، حيث

تتكشف أمام مخيلته ببصرة المتأمل الواعي دقائق تحكي خصوصية ذلك العالم.. لذا يجب على المتلقي لمثل تلك الأعمال التخلي عن كافة ما يدور بخاطره ليستحضر مضمون هذا العالم جلياً.. ومن ثم يتكشف له المعنى والجوهر الإبداعي الخفي لتلك التشكيلات الخطية الظاهرة.. كي يتشرب بعمق واستمتاع تلك الجرعة الابداعية التي تتجسد له دون عناء، فتسكن داخله دون وعي أو دراية منه، فتنير بصيرته.. ويرى بعين غير التي يبصر بها ويدرك بأحاسيس ومشاعر صافية حالات ذلك العالم الخفي وديموميته.

لقد أبدع حمدي عبد الله عالم أسطوري من صنعه وأكسب شخوصه ورموزه ملامح وتعبيرات تحقق خصوصية من التنوع في الملامح والسمات التي تتحلى بها والتي تتنوع بين القوة والضعف، بين كائنات مثالية وأخرى تنغمس في الملذات والشهوات حيث تتفجر طاقات الذكورة والأنوثة.. منظومة إبداعية عالية القيمة تصور حياة كاملة في سياق منظم تسعى لتحقيق منظومة دقيقة من خلال وضعيات مكانية محددة بالأعمال مفعمة بمضمون الفكرة الابداعية التي تدور في فلك العقل الباطن للفنان.. ومن ثم تفصح هذه الأعمال عن ثقافات متعددة وباحث جاد متفانٍ دائب على القراءة والبحث والإطلاع، وله رؤية ذاتية متفردة تتسم بخصوصية الرمز في تناوله لكافة مفردات أعماله.

- **تعدد دلالات التأويل في أعمال الفنان حمدي عبد الله:**

نبعت أعمال حمدي عبد الله من ثقافاته المتنوعة والمتعددة، فقد استلهم رسوم الكهوف ورسوم الحضارات القديمة ثم أجرى العديد من الدراسات والبحوث المتعلقة بالرسوم الفطرية المحملة بشحنات عالية من التعبير، وقد انعكس ذلك على رسومه مما اكسب رموزه العديد من الدلالات التي تصور فكره المبتكر والمؤثرات البيئية الحياتية التي تأثر بها.. فأصبحت أعماله تمثل بؤرة التأملات الخيالية بما تتضمنه من نظرة عقلية وأخرى إنسانية شاعرية، تمثل فكراً عقائدياً يتوحد مع النفس والروح في امتزاج إبداعي، فعكس إبداعه رموزاً طوطمية تعبر عن مختلف المشاعر الوجدانية والأفكار الفلسفية التي تستثير في النفس حالة من التجلي.

وفي ذلك يقول المصور الفنان عبد المعبود شحاتة: "المشاهد لأعمال الفنان حمدي عبد الله يحتاج إلي وقت طويل للتأمل والمشاركة وإعمال العقل وعمل المقارنات الذاتية واستحضار جملة من الثقافات القديمة والمعاصرة في شتي العلوم والمعارف ولكافة الممارسات العصرية لكي يتفهم العمل الفلسفي الذي توحي به أشكاله وتكويناته، فالشكل عنده وحدة متكاملة حية يتم التفاعل فيها من العلاقة الحميمية والمفردات المتغيرة الوضعية، الباعثة علي حوار ديالكتيكي ذات المضمون الإنساني الفلسفي"٤.

وتتمثل الأبجدية الشكلية في أعمال حمدي عبد الله في مفردات محددة منها: الإنسان، الطائر، الثعبان، السمكة، الكراسي، الصناديق، السلالم، المومياوات، رؤوس دواب بأجساد بشرية تلتف بالحبال أو تحشر في توابيت، وكائنات مهجنة ومسوخ وشياطين.

لقد دعم بفكره أصول الفن وفلسفته، وجمع بين الدال والمدلول والدلالة بمجموعة من الإشارات والرموز الخطية التي وحدت بين فلسفة المعنى والمضمون الأسطوري القصصي الذي يحكيه الشكل برموزه.. إن أعماله بمثابة إفصاح عن منهج خفي إبداعي يمتد لحضارات ساحقة.. إنها نتاج منهج بنيوي شمل كافة العلوم والفلسفات وفق منهج إبداعي مميز.

لقد عبر عن المكان والزمان، عن الشكل والمحتوى، عن الظاهر (الفينومينولوجي) والباطن المتمثل في الجوهر بالحدس الصوفي، في رسوم إبداعية يتجلى من خلالها خصوبة فكر هذا الفنان الفيلسوف والعالم، وبذلك اتسمت بنية أعماله بكونها مزيجاً بين الفكر والمشاعر، نسجها من خلال إعمال العقل والوجدان كي يستثير لدى المتلقي معانٍ وحوارات باطنية تحمل العديد من الدلالات التي تفرض تعددية في التأول، وهي بذلك تتسم بالعالمية التي نمت معها منذ بدايات ما بعد الحداثة، تلك التعددية التأويلية التي تختلف من متلقٍ لآخر وفق ثقافاته وعمق رؤيته.

وهذه الاعمال من شأنها غرس قيم الانتماء والمواطنة لدى المتلقي حيث نبعت من عمق البيئة المصرية، وجعلت منها لغة عالمية يتلقاها كافة المشاهدين على اختلاف بيئاتهم وثقافاتهم.

لقد صور الفنان أسطورة الخلق بمنطق مغاير، ورؤية إبداعية مميزة نمت معه، فكانت معارضه التي تمثل خطوات وقفزات متتالية في حياته، والتي تحقق هدف منشود حيث يسعى لإظهار واكتشاف عالم خاص تتعدد فيه دلالات التأويل محققة مجموعة من المعطيات والمتطلبات الإنسانية والعقائدية، تنبض بالاستمرارية والنظام والكلية والخصوبة الابداعية، حيث أفصحت أعماله عن الشخصية الإنسانية المبدعة التي يتلمسها كل من يقترب معه مخترقاً تلك المشاعر ليتكشف ما بها من عطاءات.

والمتأمل لأعمال الفنان "حمدي عبد الله" يلاحظ جماليات توظيف الرموز الاسطوري، فكأنها عالم ينسجه ويحركه كيفما شاء، فرؤيتة الفنية تعانق حدود الأسطورة وتتعمق فيها وتدخل في شكل كلي فريد ومتغلغل في أعماق اللاوعي الجمعي، هذه الرؤية الأسطورية تصور الواقع المرئي بكافة متناقضاته، وفي ذلك يقول الفنان عن أعماله: "يعتمد بناء أغلب أعمالي علي استخدام مجموعه من الرموز، أسعي جاهداً أن تكون بعيدة عن الوصف التسجيلي مما يجعلها ذات محتوي تعبيري منها الطائر الأسطوري المتميز، البيضة، المفتاح، الكرسي هذا بالإضافة إلي الاستعانة ببعض الأشكال كالهرم، والمكعب، والحائط، والأسهم التي تساهم في إحداث حوار مع تلك الرموز ليكتمل العمل الفني من الناحية البنائية والتشكيلية ولا يطغي جانباً منها علي الآخر"[٥]، وبذلك استطاع الفنان حمدي عبد الله خلق معادلاته الشكلية التي ساهمت في تجسيد وتوليد هذه المنظومة البصرية الفنية الموازية للمعاني المجردة بما لديه من براعة مشهودة، وحرفية عاليه، وخبرة طويلة متراكمة.. وقد اقتصر الفنان في مجمل إنتاجه الفني على استخدام الأبيض على أرضية سوداء أو الأسود على أرضية بيضاء محققاً منظومة قيمية أساسها العدل والتوازن والتناسب.

- **المراحل الفنية التي مر بها الفنان:**

مر الفنان بالعديد من الخطوات الإبداعية، والتي تتحدد في: (دعوة للآخر، الإنسان والنبات، الإنسان داخل الإطار.. بداية ونهاية، الرمز والأسطورة ومخاطبة العقل، الرمز وما وراء الواقع، الإنسان والميتافيزيقا، قصاصات مرئية من ذكريات الذاكرة البصرية، الكمبيوتر بين التقنية والإبداع، الكمبيوتر جرفيك، طقوس الإشارات والتحولات، رسائل كونية، التحولات، شفرة بصرية، أساطير معاصرة).. وهذه الخطوات تحدد خطوطاً عريضة تمثل المراحل الإبداعية للفنان، وتتحدد فيما يلي:

- المرحلة المبكرة في أعمال حمدي عبد الله:

هزت هزيمة يونيو ٦٧ مشاعر المصريين وكان لها أثرها البالغ في تفجير شحنات من الانفعال لدى الفنان والذي ترجمه من خلال طاقاته الإبداعية خلال مراحله المبكرة في أواخر الستينات، وكانت أعماله في هذه الآونة تنتمي إلي التشخيص الرمزي المعبر عن الأحداث الجارية ومدي المعاناة التي عاناها الشعب المصري عامة والفنانون بخاصة جراء هذه النكسة المؤلمة، وقد ظهر تأثره ومعاناته بعد موت الزعيم جمال عبد الناصر، فرسم أعمالاً تعبر عن تلك المأساة، من هذه الأعمال: أيام النكسة، ورحيل جمال عبد الناصر وغيرهما الكثير، والمشاهد لأعمال الفنان يتضح له كيف صاغ بعلاقاته الخطية وأسلوبه التجريدي التعبيري مضمون مأسوي يعبر عن حالة الحزن التي سادت الشعب آن ذاك.. فظهرت مجاميع الشخوص في رسومه وكأنها نافرة حزينة، وظهرت الخطوط تنساب في إيقاعية متناغمة وكأنها بمثابة النسيج الذي يربط بين كافة طوائف الشعب، فالموقف موقف شعب تأثر به الجميع، العامة والمثقفين، الفقراء والأغنياء، فظهرت أعماله متماسكة تماسك الموقف، محققة قيمة عليا ليست الوحدة الفنية بمعناها المعروف، وإنما الوحدة العضوية النابعة من وحدة المؤثر ووحدة التأثر ووحدة الألم ووحدة التأثير، وحدة عضوية تصور وحدة شعب.. في كيان واحد.. أعمال تصور الحديث الشريف: "مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو: تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمَّى"[٦].

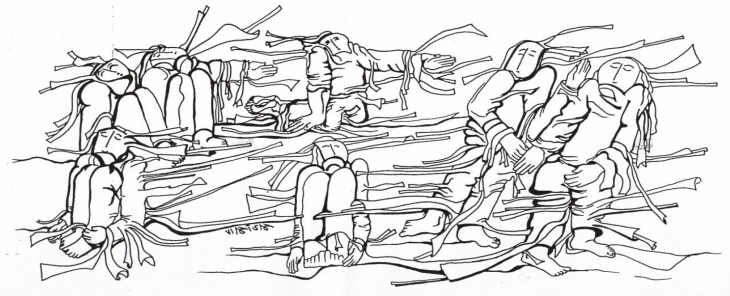

دعوة إلى الآخر (أيام النكسة): حبر على ورق أبيض، ٥٦,٥ × ٢١,٥سم، ١٩٧١.

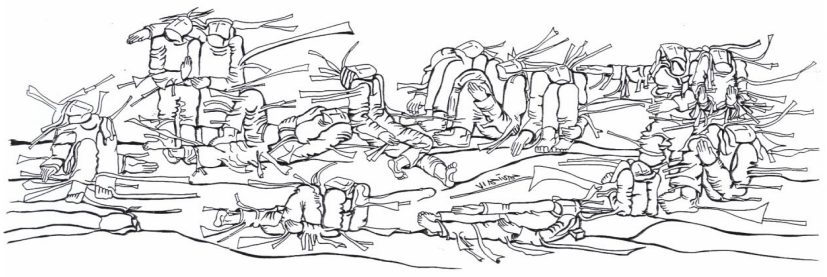

دعوة إلى الآخر (أيام النكسة): حبر على ورق أبيض، ٥٦,٥ × ٢١,٥سم، ١٩٧١.

جنازة عبد الناصر: ٢٥ × ٤٠ سم، ١٩٧٠.

- مرحلة الكمبيوتر:

المتابع للمراحل التي مر بها الفنان حمدي عبد الله يدرك أنه في خضم تدفق إبداعي ينم عن سبق واعٍ وعن تميز وعن شخصية إبداعية متفردة، فقد توازى ذلك السبق مع تطور فنون الميديا فكان من أوائل الفنانين الذين أبدعوا في هذا المجال حيث أنتج عام ١٩٩١م تجربة إبداعية مبتكرة استخدم فيها تقنيات الوسائط المستحدثة في مجال الفن وأنتج أعمالاً تشكيلية تتنوع بين التشخيص والتجريد والتعبير بالحروفيات محققاً منظومة رقمية إبداعية تمثل خطوة هامة في مجال الفن.

وعلى الرغم من اتساع وتنوع رقعة الإبداع باستخدام الوسائط التكنولوجية المتعددة الآن إلا أن الكمبيوتر في تلك الآونة كان جهازاً بدائياً.. ومع ذلك نشأت علاقة جذب وتواصل بين الفنان وتلك الأدوات البدائية صعبة التحكم فأنتج العديد من الأعمال الفنية بتقنية زاعقة الألوان تمثل إحدى تجارب فن البوب المصري المبكر في فن التصوير، وهذا التوظيف اللوني بمثابة وقفة تحد من الفنان للاعتراف بوسيط جديد في مجال الفن، وقد لعب في تلك التجربة على مجموعة من المتغيرات منها اللون والمفردة التشكيلية والوسيط التقني.

لقد "كانت مجموعة الكمبيوتر بمثابة النبش في خيال الفنان وجاءت كتداعيات في صورة ردود أفعال مباشرة لمعطيات البرامج المستخدمة ومن أهم ما فيها أنها تعكس حالة من الاستغراق المكثف"٧، وقد كان نتاج هذا الاستغراق المكثف العديد من الإبداعات التي عكست رؤية وإحساس الفنان بتقنيات مستحدثة آن ذاك.

كمبيوتر جرافيك: ٣٠ × ٣٠ سم، ١٩٩١.

كمبيوتر جرافيك: ٣٠ × ٥٠ سم، ١٩٩١.

– المرحلة الفطرية والتعبيرية في أعمال حمدي عبد الله:

تتسم أعمال الفنان حمدي عبد الله بالاسترسال الخطي والتوالد والنمو، حيث يعد الخط بمثابة البطل الرئيس في كافة أعماله، والخط في أعماله يحمل طاقات من الحركة والإيقاع والتناغم، حيث يبدو تارة منتظم الحركة وفي تارات أخر يبدو تلقائي، كما يبدو متمرداً أو طيعاً، إلا أن هذا الارتجال وهذا الإحكام محملاً بفكر مفاهيمي يؤكد أن وراء هذه الإبداعات فكر ومخزون ثقافي بصري ينبض بفكر وشاعرية وقضايا البيئة والمجتمع المحيط به.

"لقد امتزجت الشخصية الإبداعية للفنان بطاقة سيريالية تنبض بحس تعبيري يدعو المشاهد إلى تأمل تلك الحالة اللاشعورية حيث يمارس بفطرته نوعاً من الرقي التشكيلي السحري، فيخط ببراعة ذلك التصور الذي يجعل من الفن تميمة سحرية قادرة علي تحقيق التوازن الانفعالي، والرضا الشعوري، والهيمنة العقلية للإنسان علي الطبيعة"٨، وقد تبلوت وتأكدت علاقة الفنان بالفن البدائي منذ عام ١٩٧٣ حينما أعد بحث الماجستير الخاص به (التعبيرية في التصوير في القرن العشرين والإفادة منها في المرحلة الإعدادية)، والذي درس من خلاله وتعمق في الاتجاه التعبيري بفلسفته ورواده، وقد انعكس ذلك على الخط الذي لعب كافة الأدوار المتوقعة في تكوين الموضوع وتحديد معالمه وتشكيل هيئته وتجسيد حضوره المرئي، حيث تحرك الخط على مسطحات أعماله بحرية تامة محققاً جمالية متفردة بين علاقة الشكل بالفراغ اللذان تبادلا الأهمية وأكد كل منهما الآخر، فخرجت لنا أعمال فنية كانت محركةً للعقول ونابضةً بانتفاضة المجتمع تجاه قضاياه ومشكلاته، ومن أعماله:

حمدي عبد الله: المرحلة التعبيرية والفطرية، ١٩٨٩.

-المرحلة السريالية عند حمدي عبد الله:

وفي حوار مع الفنان إبراهيم عبد المغني حول أعمال الفنان حمدي عبد الله يقول: "يلاحظ المتأمل امتداد علامات ورموز فرعونية وشعبية وبيئية، فهناك حورس المجنح الذي تحيطه كائنات تحلق متحررة من سلطان الجاذبية، وكائنات بحرية هائمة في سماوات مفتوحة، ورموز اصطلاحية كالعروسة، والأسد ذو الذيل المعقوف، والسمكة، والثعبان، والعقرب، والهدهد، والهرم، والطائر المقدس الذي رسم فوق رأسه الهالة المضيئة التي ترمز إلي القديس كما في الأعمال البيزنطية لتبين أهمية هذا الطائر في حواره مع من حوله من أشكال وكائنات غريبة، ورموز مخلقة وأخري أقرب إلي تكوين الكائنات الدودية والفقارية والقشرية، أو تكوينات بيوليوجية كالأمعاء والشرايين، أو كائنات متحولة كالطائر المتحول إلي سمكة أو إلي آدمي، كأبي الهول إلي جانب عناصر زخرفية من توليدات الهلال المركب.. عالم غزير غامض، عناصره الحية تبدو وكأنها خارجة من الماء مبللة ورخوة تكاد تنبض بالخوار أو تزأر في حالة الترتيب التي تسبق الإفتراس، صورة من الحلم السيريالي الذي يجمع بين الأمكنة والأزمنة في اللامعقول، ويسمح للكائنات بالتجول بحرية في المجال الممنوع، كما يعتمد علي تجميد الأحياء وبث النبض في الجمادات بتهشيراته التي تمنح السطح دفءً ونبضاً حيوياً"[٩]. إن موضوعات حمدي عبد الله تأخذنا إلي ما وراء العقل إلى اللاوعي وسلطان الرمز والأحلام، وفيما يلي مختارات من أعمال هذه المرحلة.

حمدي عبد الله: المرحلة السيريالية، رسم بالأحبار على كانسون.

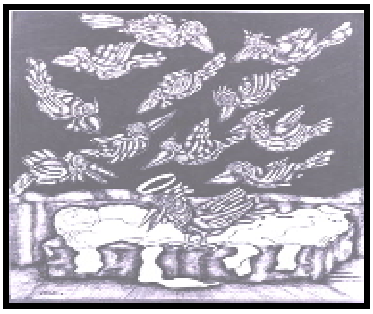

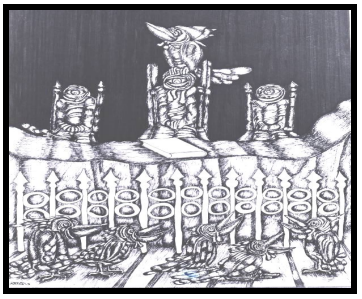

حمدي عبد الله: المرحلة السيريالية، رسم بالأحبار على كانسون.

- مرحلة الرموز الأسطورية في أعمال حمدي عبد الله:

المتأمل لأعمال حمدي عبد الله يلاحظ حرصه الشديد على تأكيد المشهد التشكيلي الأسطوري رغبة منه في تخطي الواقع المرئي المحسوس، واعتمادًا منه على المفاجأة والغرابة من أجل تحرير التفكير، للتوصل إلى عالم مختلف عن الواقع المرئي، محققاً حالة درامية نابعة من ثنائية الضوء والظل بما يعكساه من دراما متأججة في اختراق مشاعر وخيال المتلقي للوصول إلى منطقة برزخية بين اليقظة الكاملة والغيبوبة العميقة، فيما يسمى (سريالية اليقظة) حيث اقتسام القدرة على الابتكار بين الوعي واللاوعي، خاصة وأن الجزء اللاواعي من عقلنا لا يستعيد الخبرة بالأسلوب الذي حدثت به، وإنما تظهر لنا تلك الخبرة كما لو كانت متنكرة في ثوب حلم خيالي.

لقد حقق حمدي عبد الله منهجاً مغايراً شمل المعالجات والأساليب الفنية والمداخل الفكرية المتصلة بالواقع الحاضر لأبناء وطنه المهمشين الذين يعانون الفقر والمرض والجهل وقد عبر عن ذلك برمزيته الأسطورية في معرضه (الآخر) الذي أقيم في مركز الجزيرة للفنون عام ٢٠١٢م عقب ثورة يناير ٢٠١١م، فاختزل بأعماله الشخوص والأحزاب والقوي السياسية المسيطرة ومجموعات من أبناء الوطن المتمردين علي ذلك النظام.. إلي رموز من المومياءات والكائنات الخرافية والكراسي تعبيراً ورمزاً لصاحب السلطة.. الحاكم المستبد القابع فوق هذا المقعد ورموز أخري كالأقفال والخزائن والدواليب والصناديق والسلالم والبيض الذي يشف عن طيور بداخله والثعابين والخطوط اللولبيه والسلاسل الحديدية.. منظومة رمزية متكاملة ذات محتوى تعبيري، يصور وينسج واقع خيالي ميتافيزيقي موازٍ للواقع المرئي في قيمته، وفيما يلي مختارات من أعمال هذه المرحلة توضح تلك الرموز ومدى أهميتها في العمل.

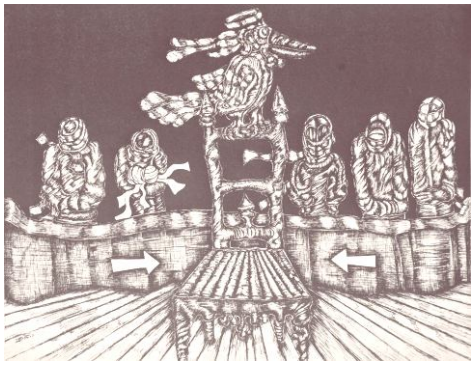

حمدي عبد الله: من أعمال مرحلة الرموز الأسطورية

ثانياً: الإطار العملي:-

يسعى البحث في إطاره العملي إلى تحليل مختارات من أعمال الفنان حمدي عبد الله وفق ضوابط وآليات التحليل المورفولوجي للتمكن من تفسير كافة جزئيات أعماله من خلال الرسوم والمسارات التي توضح بنية العمل وأهمية عناصره وأسلوب انشائه.

ويعد التحليل المورفولوجي "منهج في تحليل الأعمال الفنية يبحث في تحديد خصائص الأجزاء أو المفردات وتركيب ملامحها، وبيان علاقة تلك المفردات أو الأجزاء ببعضها البعض، بما يشكل البنية الكلية للعمل الفني، فتضيف علاقة الأجزاء وتأثير توظيفها للتفاعل معاً في محاور هندسية، وتحديد العلاقة المعمارية والاتزان والحركة وفقاً لانتشار الضوء واللون في العمل الفني"١٠، ويقصد به في هذا البحث بالتحليل المورفولوجي: "المنهج الذي يستهدف تحليل بنية العمل ووضعيات عناصره ومسارات الرؤية التي رسمها الفنان لحركة عين المتلقي بالعمل الفني"١١، ومن الملاحظ أن غالبية أعمال الفنان حمدي عبد الله قد شيدت بنيتها وفق النسق البنائي الهرمي، لتحقيق قيم:

- الرسوخ والثبات بالعمل الفني.
- السمو حيث تتجه قمة الهرم إلى المطلق.
- الوحدة العضوية بالعمل حيث يبدو وكأنه نسيجاً مترابطاً لتحقيق الفكرة أو الحكاية أو المضمون الأسطوري الذي يهدف لتحقيقه.

والفنان من خلال التوظيف الخطي بوصف عنصر الخط البطل الرئيس بالعمل الفني والذي تم صياغته وفق أسس وعمليات انشائية كالتكرار مع التنوع الفريد الذي يكسب العمل الاحساس بالحركة والتناغم والحيوية والإيقاع بما يتناسب مع الفكرة، وفيما يلي عرض لمجموعة من الأعمال الفنية مع تفصيلات منها توضيح مراحل البناء وأسسه الإنشائية.

العمل الأول: **الرمز والأسطورة ومخاطبة العقل، حبر على ورق، ٢٥×١٧سم ، ١٩٩٠م.**

يبدو في العمل العنصر الآدمي وقد اتخذ مصدر الرؤية، وقد صاغه الفنان وفق بنائية تحقق الطابع الأسطوري في هيئة تجمع بين الرمز والتعبير، فنلاحظ الوجه بنظرته لأسفل متخذاً منه بنية هرمية مقلوبة في مربع يمثل ثلثي العمل (تخطيط ٢)، ويتوازن ذلك مع البنية الكلية للعمل والتي تتخذ هرماً قاعدته لأسفل وقمته لأعلى (تخطيط ١)، والمشاهد لتخطيطات (٣، ٤ ،٥) يلاحظ تلك البنية بوضوح.

ويعلو الرأس هالة دائرية الشكل يعلوها طائر منقاره لأعلى حيث يتوازن مع ذيله، ويظهر المنقار والذيل بمثابة ميزان العدل الحكمة، ويتخذ ذلك الثلث الأعلى من العمل لتأكيد تلك القيم المثالية، وقد جاءت سيادة وعمومية العمل في القاتم، والخلفية أشد قتامة لتعطي الفرصة لعين المتلقي لتأمل تفاصيل العمل التي تؤكد قيمة التناغم والترديد ومن ثم الإيقاع الذي تنبعث منه موسيقى خافتة تتخلل وجدان المتلقي، حيث يمثل العمل حواراً وخطاباً من وجدان وعقل الفنان إلى عقل ومشاعر المتلقي.

العمل الثاني: **الانسان داخل الاطار، حبر على ورق، ٢٥,٥×٢٤سم ، ١٩٨٧م.**

يمثل العمل أربعة أشخاص آدمية (تخطيط ٤) في رؤية تشكيلية تجمع بين الرمز والتعبير تمثل النصف الأفقي من العمل (تخطيط١)، ويدنوه ربع العمل ويمثل مدخلاً أو أرضية لتلك العناصر يقطعه بناءًا هرمياً (تخطيط ١، ٢، ٣) متضمناً شكلاً رمزياً ينظر لأعلى حيث تصعد عين المتلقي للربع العلوي الذي يمثل قمة العمل والذي يحتوي على ثلاثة من الطيور (الهدهد)، والذي يبدو في حالة من الحكي تتوازن مع صمت تلك الأشكال الآدمية التي تبدو وكأنها مميوات رأسية متراصة، فهذه الطيور المتحولة الموجودة أعلى اليسار والمتنوعة الرؤية والممثلة لوضع السكون كأنهم يتلقون العلم، يؤكد ذلك "رمز الكتاب الذي يتوسطه هؤلاء والطير على الأرضية الرخوة وكأن هذا الطائر المتجه من اليسار إلى اليمين يقوم بعملية التعليم والتدريس لهذان الطائران اللذان يجلسان في حالة إحترام وود لهذا الطائر الآخر، هذه العملية بين الطيور والمسوخ المتشرنقة والطائر المتشرنق داخل الهرم الشفاف وزهر النرد توضح أن هناك ارتباط وثيق بين الأشكال في مضمون رمزي أسطوري به من الدلالات السياسية والاجتماعية ما يبين وضعية التعليم الموجه من قبل أشكال متحولة توجه المجتمع إلى تعاليم وقيم ترسخها الحالة الشكلية"[١٢].

وعلى أرضية الصورة شرنقة في حالة ولادة لطائر بداخل حضانة على هيئة شكل هرمي شفاف بجانبه زهر النرد وعلى أحد جانبيه علامة استفهام كأنها تصور ما يدور بخلد المشاهد من تساؤلات، هل هذه المسوخ تنتمي إلى طائر أم أن الطائر ينتمي إليها.

والعمل في مجمله يمثل حالة من التباين بين الصمت والحوار، في إيقاعية خطية نابضة، والعناصر الآدمية هنا تمثل وضعية الانسان المكتوف الأيدي التي تبدو وكأنها تمثل

مميوات آدمية داخل الإطار، أما تخطيط (٥) فيوضح مسارات البناء ومن ثم مسارات الرؤية للمتلقي داخل بينة العمل الفني التي أكد عليها الفنان.

العمل الثالث:

يتضح بمركز رؤية العمل كرسي خشبي ضخم يرمز إلى وضع السيادة في مركز العمل، ويجلس عليه طائر خرافي أسطوري من نسيج الفنان الإبداعي، "والذي يضعه في مصاف الملوك والنبلاء والحكماء فوضعية هذا الطائر هي وضعية حكيم ينظر من أعلى ويجلس فوق صندوق خشبي موضوع عليه شرائح بيضاء مثبتة بدبابيس مسمارية كبيرة وتمثل هذه الشرائط مجموعة من الأوسمة التي تميز الشخصيات العامة"[١٣]، والعمل مقسم إلى مستويين، الأول رأسي وهو الخلفية المهشرة باللون الأسود وراء الكرسي، والثاني وهو الأرضية التي يقبع عليها كل الأشكال التي هي محور العمل.

والعمل يتسم بالترديد والتناغم بالأسود على أرضية بيضاء، كما أن وضعيات العناصر تساهم في تحريك عين المشاهد بالعمل الفني، يوضح ذلك تخطيط (٢) والذي يتضح من خلاله مسارات الرؤية.

العمل الرابع:

الطائر الأسطوري والكراسي والمومياء (الانسان المكفن) والهالة النورانية من العناصر الهامة في أعمال الفنانن، والمتأمل في العمل يلاحظ السيادة للطائر، وجاء عن يمينه ويساره مميتين كلٍ منهما رابضاً على كرسي، ويعلو الطائر في منتصف العمل تلك الهالة، وبالتحليل المورفولوجي يتبين من خلال تخطيطات (١، ٢، ٣) أن التكوين على هيئة شكل هرمي يتوسط مركز الرؤية والتكوين، كما أن التكوين عبارة عن ثلاثة مستويات أفقية وأخرى رأسية، وقد تم توزيع العناصر وفق تلك المنظومة الرياضية الدقيقة. وقد تناغم الشكل بين الأبيض والأسود، وجاءت الخلفية قاتمة لتعطي لعين المتلقي الفرصة لتأمل دقائق التكوين والتحرك بين جزئياته.

العمل الخامس: أساطير معاصرة، حبر على ورق، ١٥×١٧سم ، ٢٠١١م.

البناء الهرمي الرصين من السمات التي تميز بنية العمل الفني لدى الفنان حمدي عبد الله، حيث صاغ الكثير من أعماله وفق نسق رياضي محكم، والتكوين يوضح السلطة المستبدة المسئولة التي تعلوها سلطات أخر، لذلك كممت عينيّ وفم الوسيط المؤدي والذي يظهر في حالة وقوف أمام وسائل الإعلام مما يؤكد تزييف الحقائق.

ويتخذ البطل بالعمل الفني هيأة طائر أسطوري كبير من طيور الفنان حمدي عبد الله ويظهر مكفن لأن وضعية المجتمع وضعت هذا المسئول في حالة موت وسلبية، والعمل مقسم إلى مستويين افقيين يقطعهما الشكل السفل أبيض والعلوي أسود يوضح ذلك

التخطيطات (١- ٥)، ويلاحظ في المستوى الأول أفقي (الأسفل) أن مساحته ثلثي العمل وتظهر بالأبيض وتتصدر المشهد لهذه الأشكال المرسومة حيث تنتشر ميكروفونات وسائل الإعلام وشكل المومياء المتصدر أمامها، ويعلو هذا المستو مستوً آخر يمثل ثلث العمل مظلل بتهشير الأسود، ويتخلله بعض الأضواء البسيطة من خلال التهشيرات الخطية المرسومة، ويدل المشهد السياسي على المهاترات والحقائق المغلوطة والوعود التي لا تتم من المسئولين في هذا العصر. ويتضح بالتحليل المورفولوجي بنائية وإنشائية التكوين، وما يتميز به من قيم فنية تتسم بالوحدة العضوية المتناسبة ومدى تداخل وتشابك العناصر مع بعضها لتحقق مضمون العمل الفني.

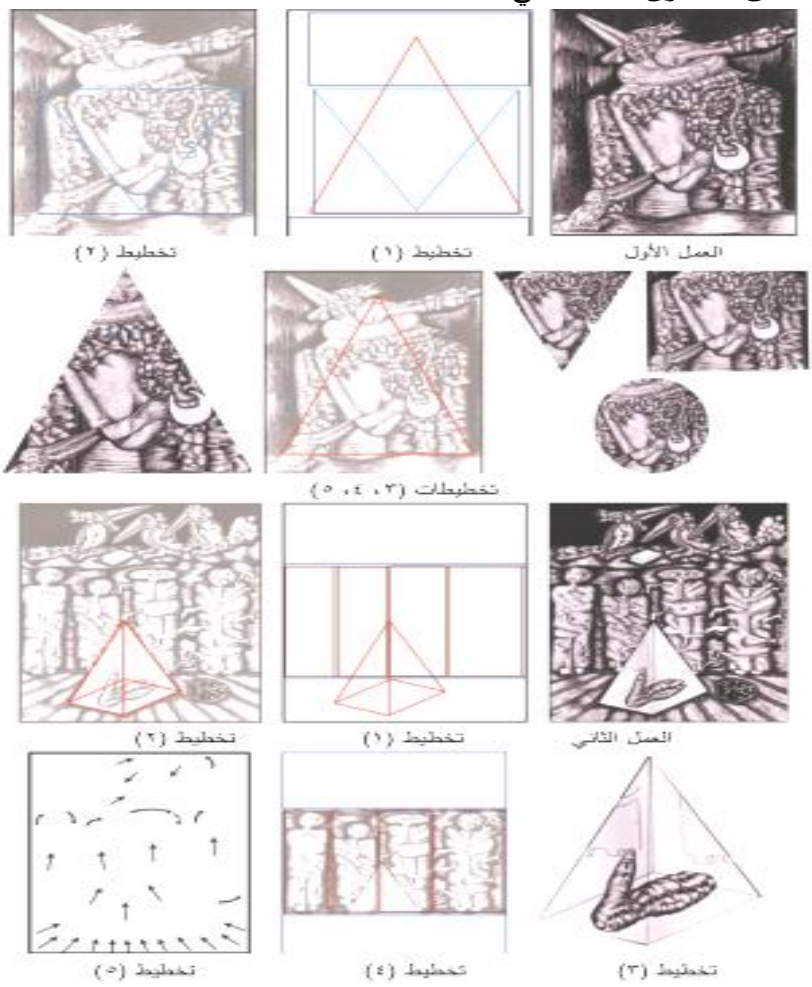

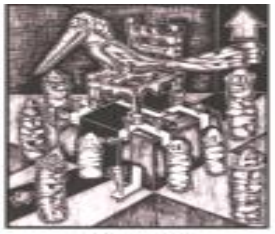
العمل الثالث

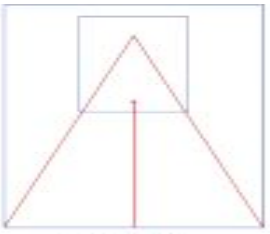
تخطيط (١)

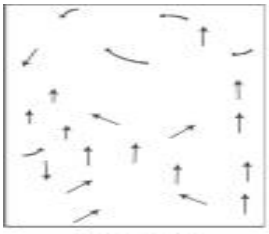
تخطيط (٢)

العمل الرابع

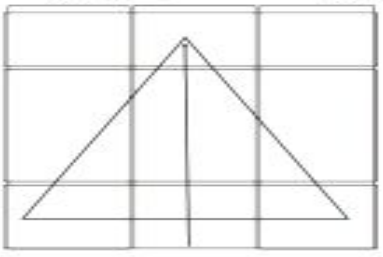
تخطيط (١)

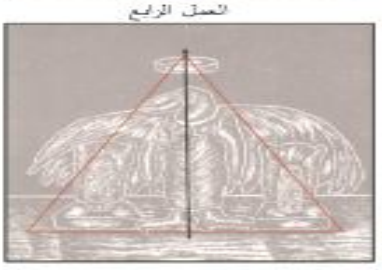
تخطيط (٢)

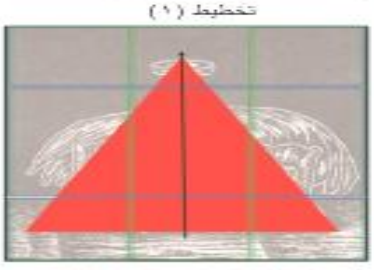
تخطيط (٣)

العمل الخامس

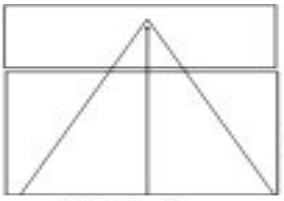
تخطيط (١)

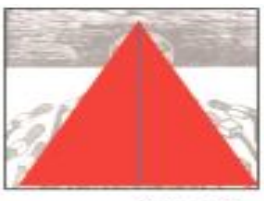
تخطيط (٢)

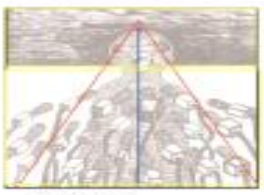
تخطيط (٣)

تخطيط (٤)

تخطيط (٥)

النتائج:

ومما سبق أمكن التوصل إلى الآتي:

- أعمال الفنان حمدي عبد الله شيدت بنيتها وفق النسق البنائي الهرمي، لتحقيق قيم الرسوخ والثبات والسمو حيث تتجه قمة الهرم إلى المطلق.
- كافة الرموز التي وظفها الفنان بأعماله نتاج فكر عميق ورؤية فلسفية تجاه الكون، لذلك فأعماله تخاطب عقل ووجدان المتلقي على السواء.
- وظف الفنان الخط بكافة طاقاته وأشكاله وتعبيراته ورموزه، لذلك فإنه يمثل البطل الرئيس بالعمل الفني والذي تم صياغته وفق أسس وعمليات بنائية كالتكرار مع التنوع الفريد الذي يكسب العمل الاحساس بالحركة والتناغم والايقاع والوحدة العضوية.
- التحليل المورفولوجي للأعمال الفنية يوضح البناء الأساسي للعمل بكافة جزئياته وتفاصيله التي يتكون منها، ومن الملاحظ في رسوم الفنان حمدي عبد الله أنها تحمل رؤى رمزية تنحو إلى السيريالية والميتافيزيقا الكونية حيث تعبر عن:
  - إشاعة الغرابة وإيماءات الدلالة.
  - حيرة المشاهد في تفسير الرموز.
  - اندماج الشعور في زمن غريب في عالم مليء بكائنات عجيبة ممسوخة الملامح فيها حركة الحياة، ولكنها في زمن الموتى وحياة القبور.
- صنع الفنان لرموزه بيئات وأزمنة خاصة بها وألف بينها ليحقق حالة من النسيج المتناغم والوحدة العضوية التي يدركها المتلقي.
- تتسم إعمال الفنان حمدي عبد الله بالسرد والحكي الذي يثري الخيال والشخصية الإبداعية.
- إنعكست شخصية الفنان حمدي عبد الله" الديناميكية بخطوطه المتمردة فأكسبتها حيويةً ونبضاً له وقعه على المشاهد.
- إن نسيج أعماله بالأبيض والأسود، بكل التنويعات التشكيلية والتقنية الممكنة من تهشير وتظليل وملء وتفريغ وتسويد كامل لبعض المساحات أو استخدام لمختلف درجات الأسود المتجهة إلى رماديات بمعطياتها يحقق حساً دراميا يحدث الألفة بين العمل والمتلقي.

التوصيات:

- اعداد المزيد من الدراسات والبحوث حول تجارب الشخصيات الابداعية التي تفيد الدرسين ومتذوقي الفنون.
- إثراء المكتبة العربية بالدراسات المتخصصة التي تفيد في إكساب المعارف والمفاهيم والتقنيات للمتخصصين في مجال الفنون.
- دراسة تحليلية للرموز والدلالات الأسطورية بأعمال الفنانين المصريين المعاصرين والتي تعد بمثابة منطلقات تفيد الدارسين ومتذوقي الفنون.
- دراسة تحليلية للفكر الاسطوري بفنون الحضارات وتوظيف ذلك الفكر في مجال الرسم من خلال وضع البرامج التي تعين على ذلك.
- التوصل إلى مداخل تحفيزية قائمة على استلهام العلوم الحديثة والوسائط التكنولوجية المتعددة كمنحى بنيوي يثري الفكر الإبداعي.

المراجع:

١ – جمال القصاص: قراءة في المرتكزات الجمالية والفكرية لأعمال الفنان حمدي عبد الله– البحث عن الفة الغامض، تقديم كتالوج المعرض الاستعادي.. مسيرة وسيرة ١٩٧٠/ ٢٠١٥م، (الانسان داخل الاطار.. بداية ونهاية)، مركز الجزيرة للفنون، في الفترة من ٢١اكتوبر إلى ٥ نوفمبر ٢٠١٥م.

٢– القرآن الكريم: سورة الاسراء، آية (٤٤).

٣– القرآن الكريم: سورة الأنعام، آية (٣٨).

٤– عبد المعبود شحاته: عندما يفكر الفنان بصوت عالي يهز عرش السكون، الرمز والأسطورة بمخاطبة العقل من منطق الوعي، مجلة الانباء الثقافية.

٥– حمدي عبد الله: وزارة الثقافة الهيئة العامة لقصور الثقافة، قصر ثقافة المنيا، الرمز والأسطورة ومخاطبه العقل، ٣ /٣ ١٩٩٠.

٦– حديث شريف: أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير.

٧– مصطفي الرزاز: حمدي عبد الله وأساطيرة المعاصرة، مركز الجزيرة للفنون، قطاع الفنون التشكيلية، ٢٠١٠م.

٨– إبراهيم عبد المغني: عن نها مصطفى ابراهيم: القيم الفنية والتعبيرية للرموز الأسطورية في رسوم حمدي عبد الله، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ٢٠٠٧م. ص١٠٨

٩– مصطفي الرزاز: أساطيرة المعاصرة، مركز الجزيرة للفنون، قطاع الفنون التشكيلية، ٢٠١٢م، عن جيلان حسين محمد: المدلول الرمزي في أعمال الرسامين المصريين (سعيد العدوي– رباب نمر– حمدي عبد الله– السيد القماش) دراسة تحليلية، كلية الفنون الجميلة، جامعة الإسكندرية، رسالة ماجستير، غير منشورة، ٢٠١٥م.

١٠– مصطفى الرزاز: آفاق الفن التشكيلي – للرائد محمود سعيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م. ص١٠٩

١١– تعريف إجرائي.

١٢- نها مصطفى ابراهيم: القيم الفنية والتعبيرية للرموز الأسطورية في رسوم حمدي عبد الله، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ٢٠٠٧م. ص١٥٦

١٣- نها مصطفى ابراهيم: القيم الفنية والتعبيرية للرموز الأسطورية في رسوم حمدي عبد الله، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ٢٠٠٧م. ص١٦٩.

١. القرآن الكريم.

٢. الحديث الشريف.

٣. إبراهيم عبد المغني: عن نها مصطفى ابراهيم: القيم الفنية والتعبيرية للرموز الأسطورية في رسوم حمدي عبد الله، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ٢٠٠٧م.

٤. جيلان حسين محمد: المدلول الرمزي في أعمال الرسامين المصريين (سعيد العدوي- رباب نمر- حمدي عبد الله- السيد القماش) دراسة تحليلية، كلية الفنون الجميلة، جامعة الإسكندرية، رسالة ماجستير، غير منشورة، ٢٠١٥م.
٥. حمدي أحمد عبد الله: التعبيرية في التصوير في القرن العشرين والإفادة منها في المرحلة الإعدادية، رسالة ماجستير، غير منشورة، المعهد العالي للتربية الفنية، ١٩٧٣.
٦. فؤاد شاكر: حصاد القرن العشرين في فنون العصر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٧. ماجد يوسف: حمدي عبد الله وعالمه الأسطوري، أساطير معاصرة، ٢٠١٣م.
٨. محفوظ صليب: الفنان حمدي عبد الله والهروب في الزمن، أساطير معاصرة، ٢٠١٢م.
٩. مروة علي امام نصر: الجوانب التعبيرية والتقنية في رسوم الفن البدائي المصري، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ٢٠٠٧م.